الشاعـر منصت للشعب

الطـاهـر بنجلـون

1 ـ تغير الزمن الذى كان العرب فيه يعتبرون كل شاعـر متنبيا ، انسانا طامحا للنبوة ، متأملا سماء صافية ، حيث لا بد ان تظهـر خطوط القدر ، وعلامات المستقبل . هذا المفهوم ابعد الشاعر عن الواقعي (اليومى والتخيلى) ، ثم دعم استمرار الصوفية ، صوفية لا تنفذ الى العمق ، مما جعل الشعر التقليدى مجرد غواية بالنسبة لها .

« ان الشاعر العربى اليوم ، كما يقول ادونيس ، يجب أن يحس فى ذاته انهيار هذه المفاهيم القديمة ، ويكشف هذا القناع الذى يغلف الواقع الحياتى . يجب أن يكون الشعر قدرنا الانسانى » .

ليس رائدا ولا نبيا ، يجب ان يكون الشاعر منصتا للزمن وما ينطق به ، ومنصتا لذاكرة الواقع أيضا .

ليس المقصود اعادة خلق الواقع ، ولا تكرار ما نراه ، بل هو أقل من كل مزايدة تجاه مفعول الكلمات المفرغة ، المنحطة ، والتى تتملق ولكنها تتطفو فوق السطح اللامع للنص . ان المقصود هو اختراق المرئى، والتوجه نحو الاساسى ، وهذا الاساسى ليس ما ينكشف لنا عادة .

هناك تقليد ثقافى دعم وجود ثنائية مقعدة : انفعال الحياة عن الشعر، انفصال الواقع السياسى والواقع الاقتصادى عن الشعر ، انفصال الجسم عن التخيل ، انفصال الحلم عن الثورة ، بينما يملك خيالنا طاقة كبيرة من الوجود والواقع ، وبالتالى يملك طاقة كبيرة من الاهمية فى مقارنتـه مـع حياتنا اليومية المفرغة من كل بعد خيالى ، والتى اصبح فيها واقع احلامنا عرضة للنكران . بالاضافة الى ذلك نجد صمود تخيل معطوب ، جامـد ، مغلق على اشكال اخرى من القول والفعل ، وهذا شىء محرج ما دام على التخيـل أن يـرفض كـل رقابـة .

ولا يمكن أن نقف الى جانب الحياة ، لان القصيدة يجب أن تكون الحياة نفسها ، فى حقيقتها الاساسية . يجب أن تعرى الموت الذى نزيفه ونسميه حياة ، اى اعطاء الشعر منطقته عن طريق انضاج حدوده التى تحصرهـا

ارغبات الظاهرية بين الحياة والواقـــع .

2 ــ وقبل اعطاء تعريفى الخاص للشعر الحقيقى أحب القيام بفضح الخطر الذى يمثله الشعر المزيف ، اللاشعر الذى ينتشر مـــع الاسف فى معظم الدول المسماة بالعالم الثالث ، ونعنى به ما يسمى (الشعر الملتزم) بكل سهولة . اننا غالبا ما يحدث لنا ان نخطـــىء الصـــواب ونسقـــط فى الديماغوجية عند بحثنا عن الاخلاص والواقعية دون وعى منا بذلك .

ولنقل بسرعة : القصيدة شىء آخر غير الشعـــارات ، وواقعيـــة القصيدة ليست فى التطابق ، حقيقة القصيدة نكران للفقر ، وجمالها ليس فى القناعة ، انها غير التأمل والنحيب .

والشاعر المزيف هو الذى يفصل ارداديا الشعر عن الحياة حين يجعل نفسه مركز الكون . هناك من يفصل الحياة عن الشعر دون أن يعلم بذلك حتى انه يذهب الى التفريق بينهما عند تسميته الاشياء ، بينما التسمية هى الالغاء دون اى انتهاك ، هى تحطيم الفعل نفسه للقصيدة ، استعمال الشعر كمحمول ، كشاشة ثانوية للانعكاس والانتقال ، رسم للعالم دون النفـــاذ فيه وتغييره . والنصوص او الاشخاص الذين يسمون الظاهرة ، ويظنـــون انهم ملتزمون ، عند كتابتهم لكلمات الحرية والبـــؤس والثـــورة الـــخ ... يساهمون بالفعل فى ابعاد الشعر عن وظيفته الحقيقية الكامنـــة فى القبض على الاصيل ، والذهاب اعمق ما يمكن فى ذلك .

ان الفعالية الثورية تكمن فى حقيقة القصيدة ــ كتعبير عن الحياة بكل متطلباتها ــ وليست فى الضروريات الاجتماعية المرسومـــة ، المسمـــاة بالمنقولة فى لغة مؤسســة عن طريف بنيـــات لغويـــة وذهنيـــة ثابتـــة ، والمعروضة وفـــق صـــدق الظـــاهـــر .

تصبح القصيدة حقيقة عند ما تتخلص من كل استيـــلاب ، وتأخـــذ حدودها تجاه كل الايديولوجيات ، وتعيد القوة الكامنة فى الواقع بالصورة والكلمـــة .

لا يمكن للشعر أن يكون الا حقيقة . والحقيقة بطبيعة الحال هـــى وحدها الثورية (غرامشى) ، يجب أن ينبع الشاعر من الواقع ليكـــون حقيقة ثوريا ، بمعنى أن يكون حرا ، كاملا ومستقلا (لا علاقـــة لهـــذا بالنبوة ، ولكن بمفهوم التحرر وتغيير الواقع) .

هناك أيضا واقع احلامنا وواقع اهوائنا . وقد كتب الشاعر جـــان بيير دوبرى فى هذا المعنى « انا من بين الذين لا يرون سطـــح البحـــر ، ولكن اعماقه وثقبه ووحوشه واشباحه . انا من بين الذين ذهبت عيـــونهم للافـــق » .

الشعر هو وحده الذى يستطيع تحويل الواقع الى شكل عجيب كما يقول رامبو « لن ينغم الشعر الفعل ، بل سيكون فى الامام » .

ان نكون فى الامام داخل منطقة اللغة الجديدة ، حتى نتكلم الى — مع الاخرين عند الحديث مع انفسنا . وينهض شعراء آخرون .

تحطيم اللغة المؤسسة هو الهدف الاول للشعر . ولا يمكن تغيير الواقع بلغة الطبقة المسيطرة .

3 — ليس هناك شعب عاش بدون شعر . ولكن عادة ما انكر شعر الشعب ولم يعترف به . والذين يتحبون هذا الحظ فى ابيات متعفنة يتملقونه ويخونونه . وبدلا من الانصات اليه نصبح الناطقين باسمه مباشرة، ثم نكتب ما نريد . وفى هذه الحالات لا يموت الشعر ، ولكننا نحن الذين نموت بالشعر والحياة .

لننصت للزمن

ولننصت للارض

لا يمكن لاى شعر ان يولد من العدم . يمكن أن يولد من صمت . من جرح ، من ارض وشعب يقتل ببشاعة . الشعر يسخر من الجغرافيا . انه يد الشمس وسماء الاوطان الحبلى . البحر يتكلم والموج يعود بين يدى الطفل الذى يمزق الشراع . القصيدة حاجز فى طريق الزمن المستقيم. تتعلم بصعوبة قراءة النجم والحاح المستقبل .

قصيدة المستقبل هى وطن الرفض « ادونيس » .

4 — القصيدة تجمع لنفسها كل المعانى الاكثر أهمية ، والاقل آنية ، ولكنها الاكثر الحاحا . القصيدة ليست معادلة تحتل مكان تفسير العالم . انها علاقة جديدة بين الانسان والعالم . واللامعنى هو غواية محتملة ، فليس هناك شىء واضح ، ومن ثم لا تطلبوا من الشاعر أن يكون واضحا نفس وضوح المعلق الرياضى . حينما تطلب من الكاتب أن يكون واضحا نلح عليه الا يغير اسلوبه ، ولكن افكاره . اننا لا نبحث عن التعمية . بيت

ولكن الشعر ليس الا انعكاسا للاعماق المعقدة . الحياة فى غناها ليست واضحة . والعلاقات بين فردين ليست بالضرورة واضحة ، والحب ليس شيئا واضحا . اذن فلنمسك عن مطالبة الشاعر بالوضوح .

5 — يذهب الشعر حتى يصل حدود الكلمات ، واكتشاف عذرية الافعال . وعملية اعادة اكتشاف هذه العذرية هو تحطيم اللغة . الشعر الثورى لا يمكن أن يفهم بلغة مقعدة ، انه خلق لغة جديدة . الكلمات كلمات. وبالضبط هى كلمات . خطيرة . اننا نتهم بها .

نحن الآن لا نزال فى علاقة مع الكلمات .

ننتظر انتصار الكلمة .

6 — « فهم قصيدة هو اولا وقبل كل شىء سماعها » اوكتافيوباز. سماعها بالعينين ، جعلها تنفذ للداخل ، تسكن جسمنا وذاكرتنا

الحاضرة والمقبلة . هو أن نعيش القصيدة .

القصيدة لا تفسر ــ انها مفتوحة لكل الامكانيات وكل الاذان . انها في حاجة للمشاركات .

7 ــ اسبقية الاقتصاد (اللحظة الاخيرة) يجب أن تكون موازية لاسبقية الشعر . ليس هناك تحرر للانسان دون تحرر خصائص تخيله ، حلمه ورغبته . بيت

8 ــ لماذا يجب أن ننصت للشعب ؟ لا يمكن لفرد أن يعتبر نفسه ذا اهمية حتى يمركز نفسه في الكون . « هكذا يتكلم الشاعر المزيف عن نفسه باسم الاخرين في الغالب » كما يقول اوكتافيوباز . الشاعر الحقيقي يتكلم الى الاخرين عند تكلمه الى نفسه . انه يتكلم مع الاخرين .

الشعب هو القصيدة الوحيدة والعظيمة حينما يعبر عن فرحه أو غضبه ، أو حينما يرتج لنداء الحياة .

والشاعر ينصت لكل القوى المبدعة لشعب يتابع مسيرته .

سواء تحدثنا عن المراة ، الجنس ، المعمل أو الارض فهي نمط للمساهمة في تنمية وبناء وطن .

يجب أن يتوقف الشعر عن كونه امتيازا للمثقفين . انه في كل مكان وبداخلنا جميعا . ليس هناك شعر يسمى شعبيا وآخر يسمى شعرا بكل اختصار . ليس هناك الا شعر واحد ، ويتفق ان الشعب مالكه ، غير انه ميهد عن التعبير . بيت

9 ــ شعر الحرية .

خنق صوت ، ومنع حياة ، ليس مسا متعلقا بفرد ، وانما بمجتمع بكامله . الشعر يماثل هذه الورود الوحشية . انه يظهر في كل مكان ، بين الاحجار وفي القبور ، في الجسد ، في فرحة شعب ، في حفل ، في الصداقة والالم والحرب ، في السماء ونفس الريح .

انه ينصت للزمن ، وما يقوله مخيف ومعد ، يزعج الذين انكروا الحياة في انفسهم ، الذين يخافون المستقبل .

الطاهر بنجلون

باريس ــ ابريل 1974

نقله للعربية محمد بنيس .